أولُ القتلى

بغدادُ هل نخلعُ الثوبينَ بغدادُ

هل يُفرش الماءُ بعضُ الماءِ سِجَّادُ

هل ينزلُ الطائرُ المشويُّ ثانيةً

تلك المواعينُ لم يهدأ بها الزَّادُ

تلك البساتينُ ألقى اللهُ شهوتهُ

فيها وخالطها الصبيانُ فازدادوا

اللهُ في مُنتدى بغداد علَّمني

سرَّاً لهُ كلُ ما في الكونِ ينقادُ

سرَّاً وإن كنتُ مجبوراً سأُظهرهُ

لكم أنا أولُ القتلى إذا عادوا

أنا حمامةُ ليلى كلما انبعثت

فيها الغرائزُ والأفكارُ والضَّادُ

تنامُ في الليلِ أحياناً فيوقظُها

خوفٌ ستخرجُ من فكَّيهِ أبعادُ

الريحُ تحملُ أشلائي علانيةً

كأنما آيةُ الدُّخانِ أعـوادُ

الرقصُ كالغُصنِ يعني أنَّ رؤيتها

نبوءةٌ وسجى الأوراقِ إمـــدادُ

النخلُ كالمرأةِ الحسناء إذ وقفت

على ابتسامتها الزيتونُ مُعتادُ

الأرضُ كالعرشِ لكن لم يحن زمنٌ

لأنها خُرِّبت والأهلُ قد بـادوا

ما الحلُّ هل نحتسي الكأسين سيدتي

كي لا يكونَ مع الجُلاسِ أوغـــادُ

كي يفهمَ الناسُ معنى الظُلمِ في وطني

وأنَّ مَن أغلقَ البيبانَ جـــلادُ

وأنَّ من قتلوا القيثارَ قد كفروا

أهكذا استعمل التاريخَ أجـــدادُ

أهكذا جيءَ بالرمانِ مُنحسراً

بلونهِ واعتلى الرمانَ قـوَّادُ

أهكذا تجعلين الفجرَ مُقترِناً

بالأوجهِ السودِ أم في الأمرِ إيجادُ

رأيتُ في الحُلمِ عُرساً دونما فرحٍ

ولم يكن في فمِ العريسِ ميعادُ

ولم يكن يُمسكُ العريسُ زوجتهُ

ولم يُلاحظ على عينيهِ إسعادُ

ولم يروا أثرَ المنديلِ فابتسموا

لأنهم مثلما الشيطانِ عُبّــادُ

بغداد هل نخلعُ الثوبين كي يسعوا

قصيدتي ومن العُشّاقِ حُسَّادُ

كلُ الدراويشِ يا بغدادُ قد رحلوا

وفي التوابيتِ إنَّ الحُبَّ صيــَّادُ

يصطادني الحبُّ مراتٍ فأكسرهُ

مُلملماً ماءَ وجهي كيف يُصطادُ

أأُستغلُ وقمصانُ الرسولِ معي

هنا سأبُصرُ منذُ الآن بغدادُ

هنا سيحملُ جُثماني شراعُ دمي

وحين يُكتبُ أسمي سوف يزدادُ

وحين يكبرُ أولادي أقولُ لهم

هل يحفظُ العاشقَ المذبوحَ أولادُ

هل يسمعون أناشيدي وغُصَّتَها

أم أدمنت لُغةَ الأرواحِ أجسادُ

رأيتُ طفلين كانا يبكيانِ معاً

وقد أغار على الطفلين نُقّــادُ

أبوهما يشبهُ الحلاجَ في دمهِ

ما كان في جُبَّةِ الحلاجِ أحقادُ

بغداد يا صوتَ فيروز التي خُلقت

من الرياحين هل أعياكِ إنشادُ

هل غيَّروا ذلك التاريخَ في بلدي

ومال عن صُحبةِ التاريخ أشهادُ

ودمروا كل شيءٍ فيك واختلفوا

يا لعنةَ الدهرِ والأقدارِ مُذ سادوا

يا لعنةَ الكوب حتى الماء يلعنُهم

ولا يخافُ وإن جرَّتهُ أصفادُ

يا لعنةَ الزرع لم يقبل مناجلهم

ولم ينم مُطبق الفكَّين حصَّادُ

بغداد إن جارت الأيامُ فاقتسمي

رغيفَ جوعاك فالقتلى ستزدادُ